الصين الشعبية والقضية الفلسطينية

شهدت السنينات نشاطا واسعا للصين في العالم العربي لم تعهده المنطقة قبلا خاصة وان صلات الصين بالمنطقة لم تتعد القرن الواحد. والغريب في كل هذا بان جميع الحكومات العربية ناصبت الصين الجديدة العداء ولم يعترف بها أي من تلك العهود بل العكس فانها شددت الخناق على الجمهورية الفتية ووثقت علاقاتها مع فرموزا والدول الغربية ورغم كل ذلك فعندما تقدمت اسرائيل عام ١٩٤٩ بالاعتراف بالصين الشعبية فان الصين رفضت او تجاهلت هذه البادرة . وفي بادىء الامر كانت الصين مشغولة باعبائها الداخلية ولذلك لم تول القضية الفلسطينية أي اهتمام واضح ولكن انعقاد مؤتمر باندونج في ابريل عام ١٩٥٥ ومحاولة الصين الخروج من عزلتها ودخولها حلبة الدبلوماسية الاسيوية — الافريقية جعل الصين تبدي اهتماما بالقضية الفلسطينية ، ففي ١٦ ابريل (نيسان) ١٩٥٥ عندما وصل الرئيس المصري جمال عبد الناصر الى مطار رانجون ببرما في طريقه الى باندونج باندونيسيا كان في استقباله في المطار الرئيس الصيني السيد شو ان لاي وبعد خمس دقائق من اللقاء وجه الرئيس الصيني الدعوة للرئيس المصري لزيارة الصين(١). ولكن اجابة الرئيس المصري كانت غير واضحة . وفي ذلك الاجتماع القصير ظهرت رغبة الصين الواضحة في تعزيز علاقاتها(٢) مع العالم العربي ورغبتها في تطوير تلك العلاقات وفي هذا الاجتماع أبدى شو ان لاي رغبته في زيادة استيرادات الصين من الاقطان المصرية وقد افترقا على أمل اللقاء قريبا في باندونج . وكان هذا اول لقاء للرئيس الصيني باي مسؤول من أفريقيا(٣) واسيا . وفي المؤتمر اعلنت الصين مساندتها لكل حركات التحرر الوطني وعلى رأسها القضية الفلسطينية وقد كانت حجة الصين بان « فرموزا » ومشكلتها شبيهة(٤) بالقضية الفلسطينية وان اسرائيل لا تختلف عن « فرموزا » وذلك لان الاثنتين خلقتا بتدخل اجنبي وعلى راسه (الامبريالية الامريكية) . وأكد بان «المأساة الفلسطينية » ستنتهي عند اختفاء التدخل الاجنبي . وبالطبع عرج الرئيس الصيني في خطابه على قضية « اللاجئين الفلسطينيين ، ودعا الى حل عادل لها . ولكن مصر لم تعترف بالصين الا بعد عام كامل اي الى منتصف مايس ١٩٥٦ . وقد حلل السيد انور السادات هذه الخطوة في افتتاحية لجريدة الجمهورية — وكان السادات انذاك رئيس تحرير الجريدة المذكورة ووزيرا للدولة — بانها اجراء قصد منه صفع وجه الغرب وان عدم الاعتراف بالصين قبل ذلك الاوان كان مجاملة من مصر للغرب . وكانت مصر اول دولة افريقية وعربية تعترف(٥) بالصين الشعبية . واثناء عدوان السويس عام ١٩٥٦ اعلن السفير المصري في بكين بان ربع مليون صيني تطوعوا للقتال مع المصريين على الارض المصرية ، ولكن مصر رفضت العرض وقبلت هدية من الصين(٦) قيمتها خمسة ملايين دولار اميركي . ومنذ ذلك الحين والصين تنشط في المجال الاسيوي الافريقي وقد ساندت مصر مساندة فعالة في انشاء مجلس التضامن الاسيوي — الافريقي واصبحت الصين عضوا في مكتب السكرتارية الدائم وبذلك تكون على اتصال دائم ولاول مرة في تاريخها الدبلوماسي تجد طريقا وتنظيما يساعداها على توثيق علاقاتها مع الحركات التحررية الاسيوية الافريقية . وقد كانت الصين في كل مناسبة تؤكد صداقتها للعرب وتؤكد مساندتها لقضايا العرب وتعلن في كل مناسبة وبصراحة عن اهتمامها بالقضية الفلسطينية وتشدد في المطالبة بحقوق الشعب الفلسطيني . وقد كانت النظرة الصينية للقضية الفلسطينية تتلخص بما يلي(٧) :

١ — ان السبب الرئيسي لخلق اسرائيل هو لافساح المجال للامبريالية للتدخل في الشؤون الداخلية للعالم العربي .

٢ — وان بناء الكيان الاسرائيلي سببه الحفاظ على المصالح الامبريالية الغربية بصورة خاصة .

٣ — ان اسرائيل هي قاعدة لتهديد آسيا وافريقيا والتغلغل فيها .

٤ — شددوا على دور « الامبريالية الامريكية » ووصفوا اسرائيل بانها « آلة » في يد الامبريالية الامريكية .

وما ساعد الصين على اختيار الطريق الذي تريده في العلاقات الدولية هو انها